وهذه الآية نزلت في اليهود سالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه
واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا
بذلك اليه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم وما سالهم عنه كذلك قال ابن عباس
رضي الله عنه وحديثه بذلك مخرج في الصحيحين ان رجالا من المنافقين كانوا
اذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الغزو وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم
خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الآية
فهذه الخصال خصال اليهود والمنافقين وهو ان يظهر الانسان في الظاهر
قولا وفعلا وهذه الصورة التي اظهرها عليها حسنة ومقصوده بذلك التوصل
الى غرض له فاسد فيحمد على ما اظهر من ذلك الحسن ويتوصل الى غرضه
الفاسد الذي ابطنه ويفرح بحمده على ذلك الذي اظهر انه حسن وهو في
الباطن سيئ وعلى توصله في الباطن الى غرضه السيئ به فتتم المكيدة
له وتنفذ له الحيلة بهذا الخداع فمن كانت هذه صفته فهو داخل
في هذه الآية ولابد وهو متوعد بالعذاب الاليم ومثال ذلك ان يريد
الانسان ذم رجل وتنقيصه واظهار عيبه لينفر الناس عنه اما محبة
لاذاه او لعداوته له واما مخافة من مزاحمته على مال او رياسة او غير
ذلك من الاسباب المذمومة فلا يتوصل الى ذلك الا باظهار الطعن فيه
بسبب ديني مثل ان يكون قد ردد قولا ضعيفا من اقوال عالم مشهور
فيشنع بذلك من يعظم ذلك العالم ان فلانا يبغض هذا العالم ويذمه
ويطعن عليه فينفر بذلك كل من يعظمه ويتوهم ان بغض هذا الراد
واذاه من اعمال القرب لانه ذب عن ذلك العالم ودفع للاذى عنه
وذلك قربة الى الله عز وجل وطاعة له فيجمع هذا المظهر للنصح بين

امرين قبيحين محرمين احدهما ان يحمل رد هذا العالم لقول الآخر على البغض
والطعن والهوى وقد يكون انما اراد به النصح للمؤمنين واظهار ما لا يحل
له كتمانه من العلم والثاني انه يظهر الطعن عليه وارادة اذاه ليتوصل
بذلك الى هواه وغرضه الفاسد في قالب النصح والذب عن علماء الشرع
ومثل هذه المكيدة كان ظلم مروان واتباعه يستميلون الناس اليهم
ويغرون قلوبهم عن علي ابن ابي طالب والحسن والحسين وذريتهم رضي الله
عنهم فانه لما قتل عثمان لم تر الامة احق بالامر من علي رضي الله عنه فبايعوه
فتوصل الى التنفير عنه بان اظهر تعظيم قتل عثمان وقبحه وهو
في نفس الامر كذلك لكن ظهر الى ذلك ان المؤلب على قتله والساعي فيه
هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهذا كذب وبهت وقد كان يحلف ويغلظ الحلف
على نفي ذلك وهو الصادق البار في يمينه فلما اظهروا ذلك نفرت
قلوب كثير ممن لا خبرة عنده بحقايق الامور عن علي رضي الله عنه و
بادروا الى قتاله ديانة وتقربا ثم الى قتال اولاده واجتهدوا اولئك
في اظهار ذلك واشاعته على المنابر في ايام الجمع وغيرها من المجامع
العظيمة حتى استقر في قلوب اتباعهم الامر على ما قالوه وان بني
مروان احق بالامر من علي وولده لقربهم من عثمان واخذهم بثاره
فتوصلوا بذلك الى تاليف قلوب الناس عليهم وقتالهم لعلي وولده
من بعده وثبت بذلك لهم الملك واستوثق لهم الامر وكان بعضهم
يقول في الخلوة لمن يثق به كلاما معناه انه لم يكن احد من الصحابة
الف من عثمان من علي فيقال لم تسبعة انكر فيقول ان الملك لا يقوم الا بذلك
ومراده انه لولا تنفير قلوب الناس عن علي وولده ونسبتهم الى ظلم عثمان

Copyright Cairo University